إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثانية عشرة ـ العدد الثامن والأربعون ـ شتاء ١٤٠١ش/كانون الأول ٢٠٢٢م
20.1001.1.22516573.2022.12.48.6.4
صص ١٦٢ ـ ١٣٧

نظرية التسلط وهوية الأنثى الثقافية الاجتماعية فى الأمثال العامية المصرية؛ موسوعة شعلان نموذجا

إحياء كماسى (الكاتبة المسؤولة)*
أمير مسگر**
عذرا صابرى***

الملخص

اللغة والمرأة وتأثير الثقافة والمجتمع فى إنتاج سلوكها اللغوى موضوع قد شغل بال الباحثين منذ سنوات طويلة. نظرية التسلّط من أهمّ النظريات التى درست اختلافات المكانة الاجتماعية بين الرجل والمرأة وكيفية انعكاسها على السلوك اللغوى المختصّ بهما. تعدّ الأمثال أبرز عناصر لغوية تبين الحياة الشعبية فمن الممكن تسليط الضوء عليها لدراسة لغة المرأة وإدراک هويتها الثقافية والاجتماعية. الجزء الأوّل من كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" لإبراهيم "أحمد شعلان" يحتوى فى ثناياه على كثير من الأمثال الشعبية المصرية التى تميزت بتسجيل التعبيرات النسائية. نظراً لأهمّية اللغة المتداولة أو اللهجة الدارجة فى دراسات علم اللغة الثقافى رأينا أنّنا نفتقر إلى البحث عن كيفية الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة عبر الأمثال المتداولة فى اللهجات العربية. بالاعتماد على المنهج الوصفى-التحليلى وحسب الأسلوبية الإحصائية تناولنا الأمثال الشعبية النسائية وفق الكتاب المذكور وعلى ضوء نظرية التسلّط، فتوصّلنا إلى النتائج التالية: نسبة الميزات السلبية للمرأة تفوق ميزاتها الإيجابية. المرأة فى مقام التعبير عن آرائها تختار كثيرا ما أسلوب الجملة الاسمية والخبرية وفى مقام التنافس والتحدّى تختار أسلوب تكرار الضمير وفى مقام بيان التحسّر والفشل وخيبة الأمل والإحباط النفسى تميل إلى اختيار أسلوب الجملة الإنشائية فى سلوكها اللغوى. فنلاحظ أنّ المرأة تملک هوية تابعة من الرجل فى الاقتصاد والفكر ومعايير الجمال ومدى قداستها ودناستها. كما أنّ المرأة تميل إلى استخدام مفردات بشعة وسيئة فى المفاهيم وتستخدم اللغة التمثيلية وهذه فى التناقض مع ما أثبتتها نظرية التسلّط أنّ المرأة تميل إلى استخدام لغة أكثر تأدّبا.

الكلمات الدليلية: الهوية الثقافية والاجتماعية، المرأة، الأمثال المصرية، نظرية التسلّط.

*. دكتوراه فى اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائى، طهران، إيران
ehyakomasi@yahoo.com
**. دكتوراه فى اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائى، طهران، إيران
***. طالبة مرحلة الدكتوراه فى قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائى، طهران، إيران
تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/١١/١٧ تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٨/١٤

المقدمة

ينتهى مؤدّى دراسات علم اللغة الحديث انطلاقا من تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية على اللغة إلى هذا القول: إنّ هناك مستويات متعدّدة من اللغة تولّدت من جرّاء كيفية رؤية المجتمع إلى التمايزات المتواجدة بين أصحابه. الشواهد اللغوية التى يتمسّک بها علماء اللغة تبين أنّ هناک اختلافات بين أصحاب اللغة فى استعمالها فيبدو أنّها تنبثق من العوامل الاجتماعية والثقافية فى المجتمع. حسب ما تطرّقنا إليه، من الممكن القول إنّ التمايزات بين الجنسين (الذكر والأنثى) والعرقية والطبقية من العوامل التى لها أثر بالغ الأهميّة فى إنتاج الاختلافات اللغوية. تخضع اللغة لظروفها الخارجية وتستخدم بأشكال مختلفة من قبل مجموعات اجتماعية مختلفة. وفقًا لرأى علماء اللغة، يمكن التمييز بين اللغتين الأنثوية والذكرية.

اختلاف الرجال والنساء فيزيولوجيا أمر طبيعى وربّانى لا إنكار ولا نقاش فى ذلک بيد أنّ اختلاف السلوک اللغوى بين الجنسين استقطب نظرة علماء اللغة المحدثين. لقد أصبح الجنس من المتغيرات الهامّة التى تهتمّ بها الأبحاث السوسيولسانية الحديثة؛ لما له من أثر فى التباين والتنوّع بين لغة الرجال والنساء فى المجتمع. قد استطاع العلماء أن يفسّروا الاختلاف اللغوى بين الجنسين بنظرية السيادة والتسلّط التى تُعَدّ أنّ لغة الرجال يمكنها أن تكون أداة للسيطرة على النساء فمادام ثقافة مجتمع تتبنّى فكرة أنّ هناک اختلاف بين الذكر والأنثى وأنّهما غير متساويين فسيبقى الاختلاف اللغوى بين الجنسين. (هنّان، ٢٠٢٠م: ٢٤٢) من ثمّ نستطيع القول إنّ لغة المرأة تتأثّر بشدّة بمكانتها الاجتماعية فى المجتمع فتستخدم الكلمات والمفاهيم والأشكال النحوية التى تعكس نوعا ما اعتراف المرأة بسيطرة وتحكّم الرجل عليها فى المجتمع.

تبرز الاختلافات اللغوية بين الجنسين فى النصوص الأدبية والأمثال الشعبية و... . بما أنّ الأمثال الشعبية تعتبر لغة متداولة وحية واجتماعية بين الشعب فمن الممكن ظهور الاختلافات اللغوية الكثيرة بين الذكر والأنثى فيها. يعترف "سوالمية" بأنّ الأمثال العربية تمثّل شفرات ثقافية ودليل صادق على كيفية الشخصية العربية ومكوّن من مكوّنات الثقافة وسمة من سمات المجتمع ومن خلالها يمكن التعرّف على خصائص

المجتمع وعاداته وتقاليده وقيمه. وهى تحمل فى طياتها دلالات اجتماعية وثقافية عن مظاهر الحياة العامّة السائدة على المجتمع. (سوالمية، ٢٠١٨م: ٢٨١) كما نلاحظ اعتراف العلماء بأنّ «دراسة لغة الذكور والإناث فى المجتمعات العربية يجب أن تقوم على أساس كلّ مجتمع على حدّة لأنّ تلك الاستعمالات الخاصّة لن تفهم إلّا فى إطار ذلك المجتمع وباللهجة العربية المستعملة فيه.» (خرما، ١٩٧٨م: ١٩٦)

نفترض أنّ فردا يحاول التحليق خارج المنظومة اللغوية للجماعة، على سبيل المثال يستخدم مصطلح "عظّم الله أجوركم" فى مقام التهنئة ويخالف المجتمع فى استخدامه ويخرج عن المألوف فهو من المتأكّد سيتعرّض للانتقاد والسخرية. لذلك نستطيع أن ندّعى أنّ وجود الاختلافات اللغوية بين الجنسين وانحصار بعض المصطلحات ضمن استخدام النساء ليست خارج إطار المجتمع بل الاجتماع هو الذى يعين أن تكون لغة الأنثى مختلفة عن لغة الذكر. بما أنّ اللغة طبيعة اجتماعية فيعتقد علماء اللغة أنّ السلوك اللغوى الخاصّ بالنساء يتولّد من المجتمع أو بعبارة أخرى إنّ اللغة هى التى تبين كيفية الهوية الثقافية والاجتماعية للنساء.

انطلاقا من أهمية الأمثال الشعبية بمثابة اللغة التى تعكس البنية التحتية للثقافة وما يحدث فى المجتمع ويتجلّى فيها الوعى الجماعى للشعب وتحكى عن تاريخه عبر الزمن واتخاذ دراسة اللهجة كضرورة علمية لمعرفة حياة الشعب العربى نريد أن ندرس السلوك اللغوى للمرأة المصرية للحصول على هويتها الثقافية والاجتماعية من منظار اللهجة المتداولة بين الشعب المصرى على ضوء نظرية التسلّط.

منهج البحث

سنتمسّك بالأمثال والتعبيرات الشعبية المصرية معتمدين على المنهج الوصفى _ التحليلى وفقا للأسلوبية الإحصائية وسنركّز للاستشهاد بالنماذج على الجزء الأوّل من كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" لإبراهيم أحمد شعلان وسنستمدّ ممّا استفسرنا من المواطنين المعمّرين المثقّفين المصريين عن التعابير الشعبية المصرية. سبب اختيار هذا الجزء من الكتاب يعود أوّلا إلى تعايش مؤلّف الكتاب مع

الذين يعيشــون فى القرى المصرية واعتماده مباشــرة وبدون واســطة على ما سمع من المواطنين، ثانيا يعود إلى تســجيل الأمثال المربوطة بمجتمع النســاء بالتحديد فى مصر ومــا تعرّض للتغيرات الدلالية عــبر الزمن بالتحوّلات التى حدثت فى مجتمع النســاء بالأخصّ.

أسئلة البحث

أمّا من أهمّ الأسئلة التى نريد أن نجيب عنها فى هذا البحث، فهما:

- ما هى الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة المصرية من منظار الأمثال الشــعبية على ضوء نظرية السيادة والتسلّط؟
- كيف تعكس الأمثال الشــعبية المصرية الســلوك اللغوى المختصّ بالنساء فى مجتمع مصر والميزات المنتسبة إليها؟

فرضية البحث

نطرح الفرضية التالية للإجابة عن السؤالين الأساسين للبحث:

يمكن تعميم نظرية الســيطرة والتسلّط على مجتمع مصر وهى أنّ للرجل سيطرة على المــرأة فلاتتميز المرأة المصرية وفقا للأمثال المدروســة بمكانة اجتماعية متســاوية فى القيــاس مع الرجل. المرأة المصرية لها تعابير وجمل تــدلّ على اعترافها بتحكّم الرجل وهذا يشــير إلى الاختلاف فى الســلوك اللغوى الذى ينشــأ من العوامل الاجتماعية والثقافية فى مجتمع مصر.

خلفيات البحث

تناولت بحوث هائلــة موضوع علاقة اللغة والجنس أو اللغة والمرأة وأثبتت أنّ هذه المســألة فى العلاقة مع الدراســات الثقافية والاجتماعية ولايمكــن انفصالهما فلم تعد الحاجة إلى إثبات ذلک من جديد، بيد أنّ التركيز على اللهجات العربية واللغة الدارجة بين الشعب العربى وأهميتها فى اكتشاف الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة لم تنل الحظّ الكبــير عند الباحثين. أمّا البحوث التى تســاعدنا على الوصــول إلى أهدافنا فى هذا

البحث واستلهمنا الفكرة الأساسية منها، فهى:

١. مقالة: "اللهجة بين الحتمية الاجتماعية والاقتضاء العلمى" لأحمد قريش انتشرت فى مجلّة الإنسانيات عام ٢٠٠٩م. هذا البحث يعالج كيفية التطوّرات المعنائية الحادثة فى اللغة العربية فيصل إلى أهمية دراسة اللهجة كالحتمية الاجتماعية والاقتضاء العلمى.

٢. مقالة: "السلوك اللغوى واختلاف الجنسين فى ضوء اللسانيات الاجتماعية" ألّفتها الباحثة "إيمان هنّان" ونشرتها فى مجلّة "الآداب واللغة" سنة ٢٠٢٠م. حصلت المقالة إلى هذه النتيجة أنّ المرأة إن كانت شريكة الرجل فى هذه الحياة إلّا إنّ لها خصائص ومميزات فيزيولوجية ونفسية واجتماعية تجعل سلوكها اللغوى يختلف بوضوح عن سلوك الرجل فى كثير من العناصر فإنّ مثل هذه الدراسات جديرة بالاهتمام.

٣. كتب "على أكبر أحمدى" وزملاؤه مقالة تحت عنوان "اللغة والجنس فى القصص القصيرة لفضيلة الفاروق وزويا بيرزاد على ضوء آراء روبن لاكوف" ونشروها فى مجلة "بحوث فى الأدب المقارن" سنة ٢٠١٨م. ومن نتائج البحث أنّ غالبية الشخصيات النسائية عديمات الثقة بذواتهنّ بحيث يخفن من مواضع الحكم فى المجتمع الرجولى. لذلك يبرز فى محادثاتهنّ استخدام عدد غير قليل من القيود التشكيكية ووالألفاظ الدالّة على مبدأ اللايقين.

٤. كتاب "اللغة والجنس؛ حفريات لغوية فى الذكورة والأنوثة" لعيسى برهومة وكتاب "المرأة واللغة؛ مقاربات حول المرأة والجسد واللغة" لعبدالله محمّد الغذامى. وهذان من أهمّ الكتب التى ألفت فى عالم العرب وبالغت الاهتمام بعلاقة اللغة العربية مع الجنس. سنركّز على هذه الكتب فى معالجة الإطار النظرى للبحث حيث تلازم أهدافنا.

عثرنا فى اللغة الفارسية على بحوث لاتعدّ ولاتحصى تكترث بدراسة اللغة والجنس فى العلاقة مع الثقافة والاجتماع. نشير إلى أهمّها:

١. مقالة "بازتاب فرهنگی هویت زنانه در ضرب المثلهای زبان فارسی و روسی"

للباحثة "وجيهة رضوانی" التی انتشرت فی مجلة "پژوهشهای زبان شناختی در زبانهای خارجه" سنة ١٣٩٩ش. بحثت المؤلّفة عن انعكاس الهوية الثقافية للمرأة على الأمثال الفارسية والروسية وقامت بالمقارنة بين المرأة الإيرانية والروسية عبر الأمثال المتداولة. من النتائج الهامّة للبحث أنّ الجمال والمرأة مفهومان متلازمان فی الأمثال فيبدو أنّ جمال المرأة يعطيها مكانة متميزة فی مجتمعها.

٢. كَتب جمع من المؤلفين مقالة فارسية "بررسی ويژگيهای زبانی زنان با توجه به متغير سن بر اساس رويكرد ليكاف" ونشروها فی مجلّة "جستارهای زبانی" سنة ١٣٩٧ش. هذا البحث قام بتطبيق نظرية التسلّط على اللغة الدارجة فی مدينة كرمانشاه بإيران. وحصل على أنّ تعميم جميع مؤشّرات نظرية التسلّط على مجتمع النساء فی مدينة كرمانشاه أمر مستحيل. يمكن أن يقال: إنّ المرأة للهروب من مكانتها الدونية فی القياس مع الرجل فی المجتمع تلجأ إلى استخدام سلوک لغوی خاصّ بها نحو الجمل الإنشائية وتعابير طفولية (صبيانية) و... .

من الممكن الادّعاء أنّ البحث المتناول بين أيدينا يعدّ -قدر علمنا- من الدراسات الأوّلية التی تهتمّ بأهمية دراسة اللهجات المحلية للحصول على فهم الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع العربی بالأخصّ مجتمع النساء. وهذا هو الذی يميز دراستنا عن الدراسات السابقة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الإطار النظری للبحث

العامل الاجتماعی والثقافی واختلاف السلوک اللغوی بين الجنسين

من بين العوامل التی لها دور فی الفروق بين الذكر والأنثى، العامل الثقافی والاجتماعی أثار انتباه علماء اللغة وقالوا «إنّ كثيرا من التباينات اللغوية للجنسين تصطبغ بعوامل اجتماعية وثقافية فالرجال والنساء نتاج تأثيرات المحيط وشروطه.» (برهومة، ٢٠٠٢م: ٣٠)

صحيح أنّنا لا نستطيع أن نرفض العامل البيولوجی والفسيولوجی فی إنتاج

الاختلافات اللغوية بين الجنسين ولكن للعامل الثقافى والاجتماعى صبغة كثيرة ودور عظيم فلا يمكن إنكارها. اللغة هى أبرز الظواهر الثقافية والاجتماعية وتجرّد اللغة عن الطبيعة الاجتماعية تجرّدا تامّا أمر مستحيل فنلاحظ أنّ "مصطفى لطفى" فى كتابه "اللغة العربية فى إطارها الاجتماعى" يؤكّد على العنصر الاجتماعى فى اللغة فيذهب إلى أنّ صلة اللغة بالمجتمع وثيقة وتأثّرها بمعطياته ومكوّناته أمور لاجدال فيها. (لطفى، ١٩٧٦م: ٤٥)

نظرية التسلّط

نظرية التسلّط أو السيادة من النظريات التى تدرس اللغة والجنس فى علاقة اللغة مع محيطها الاجتماعى. نظرية التسلّط تعتبر الفئة النسوية فئة مهمّشة ومضطهدة من قبل الرجل. ولغة الرجال يمكنها أن تكون أداة للسيطرة على النساء. (هنّان، ٢٠٢٠م: ٢٤٢) فمادام المجتمع يقدّم كلّا من المرأة والرجل على أنّهما مختلفان وغير متساويين فستبقى الاختلافات اللغوية بين الاثنين. (عمر، ١٩٩٧م: ٢٤) نستنتج من منطلقات ما قيل أنّ نظرية السيادة أوّلا تُدرَسُ ضمن علم اللغة الاجتماعى وثانيا تبحث عن أسباب اختلاف السلوك اللغوى بين الجنسين وثالثا تكترث بالمباحث النسوية.

انتبه علماء اللغة القدماء فى العالم العربى بالتنوّعات اللغوية بين الرجال والنساء. فمنهم أبوبكر الباقلانى الذى جاء فى تعليقه على قول امرئ القيس: (لک الويلات إنّک مرجلى) بكلام يدلّ على أنّه يجعل استخدام مفردة "ويلات" ضمن استخدام النساء فقال: «هذا من كلام النساء.» (الباقلانى، ١٩٥٤م: ٨١) ومنهم أبو الفتح عثمان بن جنّى حين درس أسلوب الندبة وقال: «أكثر من يتكلّم بهذا الأسلوب النساء.» (ابن جنّى، ١٩٩٠م: ١٢) لعلّ أوّل من درس نظرية التسلّط فى عالم الغرب هو "ميشيل فوكو" لمّا قال: «إنّ ما هو صوابٌ يعتمد على من يهيمن على الخطاب.» (فوكو، ١٩٨٤م: ٩) يحمل لواءها "روبين لاكوف"[1] ويعتقد أنّ اللغة تخضع لظروفها الخارجية وتستخدم بأشكال مختلفة من قبل المجموعات الاجتماعية المختلفة أى أنّ الرجال والنساء يستخدمون

1. Robin Lakoff

اللغة بطرق مختلفة. (فيـاض ورهبرى، ١٣٨٥ش: ٣٨-٣٧) رغم أنّ إنجازات "لاكوف" تتبنّى الإدراكات الشـخصية وغير علميـة لكنّها تعتبر ذات أهمية كثـيرة لأنّها قدّمت مناهج وأسـاليب تفرق لغة النساء بها عن مناهج أو أساليب أخرى. (نعمتى، ١٣٨٢ش: ٧٨)

"روبين لاكوف" طرحت مسـألة التسـلّط وذهبت إلى إثبات أنّ عدم المسـاواة بين الذكر والأنثى فى المكانة والأدوار الاجتماعية أسـفرت عن الاختلافات فى السلوك اللغوى بينهما. المرأة تملك مكانة اجتماعية سافلة وتتأثر بثقافة مجتمعها فتستخدم اللغة السـافلة. (Lakoff, 1973: 73) نلاحظ أنّ نظرية التسـلّط تعتقد بأنّ الرجل يحتسـب الأساس فى المجتمع، من ثمّ اللغة التى يستخدمها تعتبر المعيار حيث لغة النساء لاتعترف بها كالمحور أو المعيار فى المجتمع. (ترادگيل، ١٣٧٦ش: ١١٢)

نلاحظ تشـكّل اتجاهين ضمن نظرية التسـلّط وهى: ١. الاتجاه الـذى يرى أنّ لغة النسـاء تتأثر بمكانتهم السـافلة فى المجتمع و«أنّ الفرق بـين الرجل بصفاته الإيجابية والمـرأة بصفاتها السـلبية إنّما هو فرق إيديولوجى ثقافـى اجتماعى دافع عنه المجتمع والثقافات المختلفة بقوّة القانون والسـلاح.» (الرويلى والبازغى، ٢٠٠٢م: ١٥١) وهو الذى يضع قيودا على التفكير والإبداع والسلوك اللغوى للإناث. ٢.الاتجاه الذى يرى أنّ اللغة فى اختيار الرجال على الإطلاق ولا يعتقد بمجرّد التأثّر. يميل أصحاب الحركة النسوية إلى هذا الاتجاه حيث بالغوا فيها فقالوا إنّ اللغة ذكورية فى المجتمعات ولا لون للغة النساء وقام الرجال بإحباط النساء لغويا إلى أن أصبحت لغة النساء أمرا هامشيا ومنسيا. (فياض ورهبرى، ١٣٨٥ش: ٣٨)

أسّسـت "روبين لاكوف" نظرية التسـلّط بكتابة مقالة عنوانها "اللغة ومكانة المرأة" وأثارت جدال ونقاش العلماء حيث قدّمت مؤشّـرات لتبيين السـلوك اللغوى للنساء وميزته عن لغة الرجال. من الممكن انحصار مؤشّـرات لتبيين التغير اللغوى بين النسـاء والذكور حسـب نظرية "لاكوف" فـى: ١.الخصائص الصوتيـة والنطقية ٢. الخصائص الدلالية لمفهوم المفردات والجمل ٣. الخصائص الأسلوبية. سنتطرّق فى المباحث التالية إلى مؤشّرات لغة النساء حسب نظرية التسلّط أكثر.

الإطار التحليلى للبحث

قسّـمنا بيانات أمثال كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" لإبراهيم "أحمد شعلان" حسب السلوك اللغوى المختصّ بالنساء والميزات التى أطلقت إليها من قبل المجتمع المصرى إلى ثلاثة أقسـام: ١. قسـمٌ يبحـث عن الميزات اللغوية للنسـاء حسـب نظرية التسـلّط وما قدّمت "روبين لاكوف" من الخصائص الأسـلوبية للمرأة أو بعبارة أخرى يطبّق مؤشّـرات نظرية التسلّط على الأمثال ٢. قسم يبحث عن الخصائص اللغوية للمرأة المصرية فى الأمثال وذلک وفق ما عثر مؤلّفو هذا المقال عليها ولم تشـر إليها لاكوف فى نظريتها ٣. قسم يبحث عن الميزات السلبية والإيجابية للمرأة المصرية حسـب مفاهيم الأمثال وذلک لتقييم تناسـب المفاهيم مع الأساليب المتداولة. فى كلّ قسـم اعتمدنا على الأسـلوب الإحصائى وملنا إلى احتساب التكرار والتواتر لكلّ الميزات اللغوية المستخرجة من الأمثال. الجدير بالذكر أنّ معيارنا لكيفية استخراج الأمثال النسـائية من كتاب أحمد شـعلان هو يعود إلى ما ذكره مؤلّف الكتاب بعناوين مختلفـة، نحـو: هذا من أمثال النسـاء، تقوله الزوجة، هذا من أقـوال الأمّ، من الأمثال النسائية، المثل عبارة من حوار بين الحماة وزوجة الابن و... .

أ. الميزات اللغوية للنساء فى الأمثال حسب مؤشّرات نظرية التسلّط

مـن خلال مـا انعكس على الأمثال فـى المجلّد الأوّل لكتاب "أحمد شـعلان" من الممكـن أن نبين الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة حسـب المؤشّـرات التى حدّدتها "لاكوف" لخصائص اللغة النسائية وهى: ١. الخصائص الدلالية لمفهوم المفردات والجمل ٢. الخصائص الصوتية والنطقية ٣. الخصائص الأسـلوبية. الآن ندرس مكوّنات منهج لاكوف لدى المرأة المصرية فى المباحث التالية. فى هذا القسم من البحث قمنا بإحصائية ما يتواتر فى الأمثال المصرية من ميزات لغوية للنسـاء حسـب نظرية التسلط كما يلى فى الجدول التالى.

الرقم١: الميزات اللغوية للنساء حسب مؤشّرات نظرية التسلّط

الميزات اللغوية للنساء	الأساليب	عدد التواتر
استخدام الأسلوب أقلّ حزما والتجنّب عن الصراحة	الاسمية	٧١
	السؤال القصير	٥
	التأكيد	٣٣
استخدام مكمّلات وأدوات ليس لها دور وظيفى فيما يخصّ المحتوى	النداء	٢٠
	التعجب	١
اتجاه المرأة إلى استخدام كلمات أو أسلوب أكثر تأدّبا	–	–
استخدام مفردات أو عبارات ترتبط بعالم النساء أكثر من عالم الرجال	اللون	–
	مفردة الزوج والرجل	٢٤

– استخدام أسلوب أقلّ حزما والتجنّب عن الصراحة

تذهب لاكوف إلى إثبات أنّ التراكيب الشكلية تظهر فى كلام المرأة التى تشير إلى أنواع الاحتمالات والشّك فى الأحداث التى وقعت أو سوف تقع. فهنّ يستعملن مفردات أو أدوات تدلّ على الغموض وعدم الجزم والقطع. (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٩١) من ثمّ المرأة حسب نظرية التسلّط تستعمل لغة للمنع من الصراحة فى تقديم رأيها. تمّ العثور على أساليب الجملة الاسمية والسؤال القصير والمؤكّدات فى كلام المرأة المصرية وهى ضمن مؤشّرات نظرية التسلّط وتحمل دلالة عدم القطعية والحزم والثبات فى الرأى والتجنّب عن الصراحة فى الكلام.

حسب رأى "روبين لاكوف" أنّ المرأة تستخدم الأسماء أكثر من استخدام الأفعال فهى «تميل إلى استخدام الأحداث ذات المسند الوصفى فيما يميل الذكور إلى استخدام الأفعال بكثرة. ويعلّل بعض الدارسين أنّ التفاوت فى استخدام الأفعال والأسماء يرجع إلى طبيعة الجنس فالتعبير بالأحداث يفضى إلى سيطرة فاعلة أمّا التعبير بالأسماء فيعنى قبولا والتزاما.» (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٢٨) كما نلاحظ فى الجدول السابق أنّ أسلوب الجملة الاسمية أكثر تواترا وتكرارا فى كلام المرأة المصرية فى القياس مع الميزات اللغوية الأخرى حيث عدد تواترها يصل إلى ٧١ مرّة. إن قمنا بمقارنة عدد

تواتر الجملة الاسمية مع الجملة الفعلية فى اللغة النسائية رأينا أنّ نسبة الجملة الاسمية تفوق نسبة الجملة الفعلية. الجدير بالذكر أنّ عدد تكرار الجملة الفعلية تبلغ إلى ٢٠ مرّة.

المثلان: «**الرجالة** غابت والسّتات سابت» (شعلان، ٢٠٠٣م: ١/ ٢٩٠) و«حرمة من غير راجل زى الطربوش من غير زى» (نفس المصدر: ٢٥٠) يبينان أنّ الرجل حارس للمرأة ألّا تفسد أخلاقها حيث غيابه عن حياتها يسفر عن وقوعها فى الأزمات الأخلاقية فلا بدّ من تواجد الرجل فى حياة المرأة. الطربوش قبّعة قديمة كان يستعملها الرجال فى القديم والمثل يعبّر بأسلوب ساخر عن حال المرأة الوحيدة فنلاحظ أنّ المرأة اختارت الجملة الاسمية لاعترافها أو اعتقادها بضرورة حضور الرجل فى حياتها. أمّا فى مثلين تاليين: «الحماة عقرب تقرص وتِهرب» (نفس المصدر: ٢٥٦) و«السلفة داهية مختلفة» (نفس المصدر: ٢١٣) فالمرأة تعتقد أنّ حماتها كالعقرب فى كلامها اللاذع والسلفة كالداهية العظيمة.

كما نلاحظ فى المثلين السابقين أنّ المرأة لمّا تكون فى مقام الالتزام باعتقاد قبول ما حمّل عليها والاعتراف بما تؤمن والتعبير عن تجارب حياتها وبيان ما ورثته من الحياة كالقوانين، تلجأ إلى استخدام الجملة الاسمية. فى متناول أيدينا أمثال عديدة تبين أنّ المرأة المصرية لمّا تكون فى مقام التعبير عن تجارب حياتها وآرائها تتمسّك بالجملة الاسمية، نحو: «أسى الولادة منسى» (نفس المصدر: ١٠٠) و«أكل ومرعى وقلّة صنعة» (نفس المصدر: ١١٤) و«البكرية زى العروس المجليّة» (نفس المصدر: ٢٠٦) و«جرى السحلية ولا قطع الدرية» (نفس المصدر: ٢٣٢) و«الستّ اللى مابتخلفش زى الضيف» (نفس المصدر: ٣١٠) و«قالع راسه وعادم ناسه» (نفس المصدر: ٣٩٨) و«كل دار ولها مدار.» (نفس المصدر: ٤٢١)

يستحقّ القول إنّ المرأة فى مقام التخيل والخرافة وتقدّس الحظّ والتقدير تتّجه إلى استعمال الجملة الاسمية كذلك، نحو: «بخت الوِحشة يزيد حِفنة» (نفس المصدر: ١٩٥) و«لا أمى ولا اختى ده قلّة بختى.» (نفس المصدر: ٤٣٦) فى الحقيقة وفق هذه الأمثال لا نستطيع أن نحكم حكما قاطعا أنّ المرأة المصرية تتّجه إلى الخرافة والتخيل أكثر من اتجاهها نحو التعقّل وهى شخصية تقدّس الحظّ والتقدير ولكنّنا حسب ما تجلّت فى

الأمثال المدروسة نستطيع أن نستنتج أنّ المرأة تميل إلى مفاهيم التقدير والتخيل أكثر من الرجال. يتّفق أصحاب الحركة النسوية ونظرية التسلّط على «أنّ النساء يعتبرن سلبيات وأقلّ عقلانية وهذا فى مجتمع يزن العقل أكثر من العواطف فهذا يعنى فى الواقع أنّهن مقودات ومدارات من قبل من هم أكثر عقلانية وأكثر فاعلية (الرجال). وتعتبر النساء غير مستقلات وقليلات الإبداع ولذلک يظهرن ملائمات بصورة خاصّة للأشغال الروتينية.» (شوى، ١٩٩٥م: ٢٠) إذاً المرأة تكاد أن تنعدم من العقلانية والكفاية أو الإجادة بالوظائف الاجتماعية فى بعض المجتمعات وهذا هو الذى يؤكّد عليه روّاد نظرية التسلّط. فنرى كيف المرأة تمثّل الإنسان غير عاقل وغير فاعل فى الأمور الاجتماعية حيث الرجل إذا كان يطاوع المرأة يعتبر كالمرأة. قد يمكن حسب نظرية التسلّط استنتاج هذا أنّ المرأة باستخدام الجملة الاسمية تعبّر عن تجارب حياتها وآرائها كاحتمالات أو تخيلات تتغير ولاتعتبر أمرا ثابتا حيث الرجل يعبّر عن تجارب حياته كقوانين ثابتة وغير متغيرة فلذلک يستخدم الجملة الفعلية.

أمّا السؤال القصير فهو أسلوب تستخدمه المرأة فى كلامها ليحمل دلالة الاحتمال وعدم القطعية والحزم وفق نظرية التسلّط. فى هذا المثل: «يا سوق بلا رجّالة وإيش تعمل النسوان.» (شعلان، ٢٠٠٣م: ٥٤٨/١) جاءت المرأة بأسلوب السؤال القصير فيبدو أنّ استخدام المرأة هذا الأسلوب (إيش= ماذا) فى كلامها دليل على أنّها لاتستطيع أن تقدّم رأيها إلى المخاطب مباشرة أو تعطى رأيا صارما فى كل المجالات بل تحتاج إلى تصديق المخاطب أو إنكاره. كما تعتقد "روبين لاكوف" أنّ استخدام المرأة للسؤال القصير «يعكس شخصيتها وهو جزء من عدم أخذ المرأة على محمل الجدّ لأنّ السؤال يؤكّد أنّها لاتستطيع أن تصدر قرارا وبالتالى عدم الثقة بها لتحمّل المسؤولية.» (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٢٦-١٢٧) تكرّرت صورة المثل السابق فى المثل التالى أيضا: «إيش تعمل الماشطة فى الوجه العكر.» (شعلان، ٢٠٠٣م: ١/ ١٨٨)

من السلوک اللغوى لكلام المرأة حسب نظرية التسلط هو: يغلب على أسلوب اللغة للمرأة التكرار والمؤكّدات. تعيد "لاكوف" سبب هذا السلوک اللغوى المختصّ بالمرأة إلى عدم الثقة بنفسها لتحمّل المسؤولية وتؤكّد أنّها لاتستطيع أن تصدر قرارا.

(برهومة، ٢٠٠٢م: ١٢٧) التكرار ظاهرة نراها فى الأمثال النسائية حيث المرأة تتجه إلى استخدام التكرار فى كلامها للتأكيد على أمر ما، نحو: «يا دى الشيلة يا دى الحطّة رُحنا على جمل وجينا على قطّة» (شعلان، ٢٠٠٣م: ١/:٥٤٥) و«لاحصيرة ولامخدّة وكمان مش لدّة؟؟» و«لا بيت أروحه ولابيت أجيه ولا بيت أشكى اللى نابنى فيه» و«لا بتى ولا مِسيتى يا داهية الشوم جيتى.» (نفس المصدر: ٤٣٧) يبدو أنّ تكرار حرف "لا" واستخدام المنادى يبين غاية تحسّر المرأة على فقدان رفاهية الحياة الزوجية وكان على الزوج أن يوفّرها لها. تحسّر المرأة على ما فقدته والاعتراف بالفشل فى الحياة الزوجية هما أبرز شىء يعبّران عن عجزها وتسلّط الرجل عليها. كأنّ مفاهيم التحسّر والفشل تتناسب مع الأساليب الإنشائية. من ثمّ نلاحظ أنّ أكثر الأمثال التى تدلّ على اعتراف المرأة بفشلها وخيبتها تأتى فى قالب المنادى والتأكيد بالتكرار.

- استخدام مكمّلات وأدوات ليس لها دور وظيفى فى المحتوى

ذهبت صاحبة نظرية التسلّط "روبين لاكوف" إلى إثبات أنّ المرأة تستخدم الأدوات والحروف أكثر من الرجل فى لغتها. هذه الأساليب مالئة أو مكمّلة لا معنى لها كما يقرّر اللغويون. (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٢٨) النداء من المكمّلات وأداة ليس لها دور وظيفى فى المحتوى فنلاحظ أنّه يتواتر ٢٠ مرّة فى أمثال كتاب شعلان كما أشرنا إليه آنفا فى الجدول السابق. فى الأمثال التالية سنلاحظ كيف المرأة المصرية تتّجه إلى استخدام النداء وما تقصد إثر ذلک.

-«يا رتنى بيضة ولى ضبّ والله البياض عند الرجال ينحب» و«يا رتنى بيضة ولى عرقوب والله البياض عند الرجال محبوب» و«يا رتنى بيضة ولى بربور والله البياض عند الرجال محبوب.» (شعلان: ٢٠٠٣م: ١/ ٥٤٦) نشاهد أنّ النداء أى "يا رتنى" أسلوب لغوى يتكرّر عند النساء. كأنّ الرجل هو الذى يحدّد معايير الجمال للمرأة فنلاحظ أنّ المرأة المصرية تعترف نفسها من جرّاء استخدام أسلوب النداء بأنّ بياض لونها محبوب عند الرجل. إنّ المرأة تتمنّى أن تكون بيضاء ولو عندها عيوب أخرى. وهى تعتبر نفسها أن تكون البيضاء ذات ضبّ وعرقوب (عيب ونقص خلف عقب الرِجل) وبربور (الذى مخاط

أنفه دائم السيلان) أجمل من نفسها أن تكون سوداء لأنّها تمتلک حبّ الرجال وتدخل فی قلبه. تواجد أسلوب النداء فی هذه الأمثال خير دليل على أنّ ثقة المرأة بنفسها تتعلّق بلونها حيث أن تكون بيضاء تمنحها ثقة وأن تكون سوداء تمنحها الإحباط النفسی أو خيبة الأمل. استخدام أسلوب "يا رتنی" أی (يا ليتنی) والالتزام بالحلف والقسم (واللّه) أكثر دلالة على أنّ المرأة لديها الحسرة والآلام والتأوهات الكثيرة فی التضاد العنصری وهو أنّ المرأة السوداء لاتتساوی فی المكانة الاجتماعية مع المرأة البيضاء. أسلوب التمنّی (يا رتنی) يعكس الصورة الحقيقية من مشاعر المرأة تجاه الرجل أنّها لن تحصل على حبّه إلّا أن تمتلک معيار الجمال الذی قرّره الرجل لها. وأسلوب القسم تأكيد أوّلا على اعتراف المرأة السوداء بخيبتها وفشلها فی الحياة الزوجية وثانيا محاولة على إقناع الآخرين بما أدركت أو أحسّت من اختلاف المكانة الاجتماعية.

الجمال أمر نسبی ولكلّ مجتمع معايير لتقييم جمال المرأة يختلف بها عن مجتمع آخر. من الممكن الادّعاء أنّ معيار الجمال فی المجتمع يعين إلى حدّ ما كيفية هوية المرأة فی ذلک المجتمع. على سبيل المثال؛ فی اللغة الروسية يعتبر اللون الحنطاوی أو السمراوی معيارا لجمال المرأة لقلّة تواجد هذا اللون فی روسيا (رضوانی، ١٣٩٩ش: ٧٩٦)؛ حيث يعتبر تميز المرأة المصرية باللون الأبيض معيارا لجمالها. فيبدو أنّ الرجل هو الذی يقرّر هذا المعيار للجمال. هناک معايير ومستويات لتقييم جمال المرأة فی مجتمع مصر. لذلک تهتمّ المرأة بجمالها ومعاييرها فنلاحظ أنّها تتأثّر بما يقبل المجتمع من معايير الجمال وتعترف بها فی كلامها اللغوی.

نلاحظ فی المثل هذا: «يا بخت الناس برجالنا ويا تعاستنا برجال الغير» (شعلان، ٢٠٠٣م: ٥٤٠/١) أنّ المرأة تتمسّک بأسلوب النداء حتّی تبين حسرتها وخيبتها وتعاستها فی اختلاف الأحوال وعدم توفيقها فی التعامل مع الغير رغم توفيق الغير فی التعامل مع زوجها.

- استخدام مفردات أو عبارات ترتبط بعالم النساء أكثر من عالم الرجال

لاحظت "لاكوف" وجود عبارات أو مفردات تتناسب عالم النساء. ومن مجموع ما

تناولت إليه عن خصائص المفردات والتعبيرات فى لغة المرأة هى اللغات الدالّة على الألوان والزينة والديكور. (Lakoff. 1973: 73) من الخصائص الدلالية للمفردات التى تستخدمها المرأة هى الصفات ذات دلالة تقنع المخاطب و تستقطب انتباهه، على سبيل المثال؛ المرأة فى اللغة الفارسية تستخدم مفردة "با نمک" كثيرا (نفس المصدر) أو تستخدم المرأة المصرية مفردات "يا مزّة" و"يا عسّولة" و"يا لَهوى" أو تستخدم المرأة فى اللغة الإنجليزية مفردة "cute" فى كلامها كثيرا ما. يبدو أنّ اتصاف المرأة بالمفردات المغايرة من قبل المجتمع هو من إحدى التمايزات اللغوية التى نشاهدها بين الرجال والنساء. «تحمل بعض الألفاظ دلالة مغايرة فيما لو أطلقت على أحد الجنسين، فالسيد هو الرجل المحترم والسيدة هى المرأة المتزوّجة أو ابن شارع يدلّ على رجل غير مؤدّب أمّا ابنة شارع فتدلّ على اللقيطة.» (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٣٢)

تميز المرأة الألوان تمييزا دقيقا من الرجال فهناک ألوان يتردّد ذكرها عند النساء فهى: العنّابى أو البصلى أو الكَمّونى أو أصفر حليبى و... . ذكرت "لاكوف": أنّها سمعت رجلا يضحک ضحكات متتالية لاستماعه نقاشا بين الشخصين حول لون غلاف الكتاب إن كان بنفسجيا أو عنّابيا. فالرجل يرى أنّ هذا الحوار تافها ومضيعا للوقت.(Cameron. 1998: 244) يستحقّ الذكر أنّنا ما عثرنا فى الأمثال على كلام يبين أنّ المرأة المصرية تميز الألوان تمييزا دقيقا. عثرنا على مفردات تتواتر عند النساء فى الأمثال المصرية وهى تدلّ على اهتمام المرأة بحياتها الزوجية وأمومتها.

فى الحوار بين الرجال يجرى الحديث حول السياسة وتشريع القوانين والمزاح والرياضة بينما تتمحور مواضيع النساء مع أقرانهنّ حول أحاسيسهنّ والعلاقات والمنزل والعاطفة. (آذرى، ٢٠١٢م: ٣٣) كان المجتمع التقليدى يعتقد أنّ المرأة المثالية هى التى تعمل فى المنزل وتقوم بوظائفها الزوجية. أثارت انتباهنا مفردات تكون أكثر شيوعا فى لغة النساء حسب الأمثال فى اللهجة المصرية وهى مفردة الرجل والزوج حيث تتواتر ٢٤مرّة، نحو: «حطى جوزک فوق السطوح إن كان فيه خير ما يروح» (شعلان، ٢٠٠٣م:٢٥٣/١)، جوز يعنى الزوج فى اللهجة المصرية وتقول المرأة المصرية هذا المثل نصيحة وتوصية لزميلتها أو صاحبتها التى تشتكى من سوء أخلاق زوجها

والمعنى الّا تهتمّى بذلک فإذا كان الزوج على خلق ويحافظ على كيان البيت فإنّه لن ينحرف وسوف يبقى على العلاقات الأسرية أمّا إذا كان سيئا فلافائدة من إصلاح حاله. المثل الآخر: «اللّى جوزها يحبّها الشمس تطلع لها» (نفس المصدر: ١٢٨)، المثل يعبرّ عن اعتراف المرأة بأنّ التى يحبّها زوجها تتميز بالحظّ الوافر. المرأة المصرية إمّا ناجحة وإمّا فاشلة؛ حبّ الرجل إياها كما يتجلّى اعتراف المرأة نفسها به فى هذا المثل والحياة الزوجية والقيام بوظائفها هى التى تبين نجاحها أو فشلها وتعتبر كمعيار لتقييم مدى فوزها. نتمسّک بمثالين آخرين منتقين من الأمثال الواردة فى الكتاب المذكور سابقا كالشواهد الدالّة على إتيان المرأة مفردة الزوج أو الرجل فى كلامها. -«ظلّ راجل ولا ظلّ حيط» (نفس المصدر: ٣٥١)، الراجل يعنى الرجل فى اللهجة المصرية فنلاحظ فى هذا المثل أنّ المرأة تعترف بضرورة حضور الرجل فى حياتها. كما تعترف فى المثل الآتى: -«الراجل مايعيبه إلّا جيبه» (نفس المصدر: ٢٨٤) بأنّ الرجل لا يملک نقصا إلّا فقدان نقوده.

من الكلمات أكثر شيوعا فى كلام المرأة المصرية هى كلمات "ابن" و"ابنة" و"بنات" و"صبيان". من الواضح أنّ اتجاه المرأة إلى استخدام هذه المفردات فى كلامها لا يرتبط بشعورها الذاتى والفطرى قبال أولادها فحسب بل يرتبط بهويتها التى يحدّدها المجتمع لها. لوضوح الأمر يمككنا أن نقارن حياة المرأة فى المجتمع الغربى وغيره، حيث أنّ الحياة فى هذا المجتمع حديث بيد أنّها فى المجتمعات الأخرى خاصّة فى المجتمع الشرقى والأفريقى تقليدى. المرأة المصرية تتولّى أكثر مسؤولية أمور المنزل فنلاحظ أنّها تتمنّى أن تنجب الصبية قبل الصبى لأنّ البنت تساعدها فى أمور المنزل «اللى يسعدها زمانها تجيب بناتها قبل صبيانها.» (نفس المصدر: ١٥٦) المثل الآخر الذى تنعكس أمومة المرأة المصرية عليه هو: «أدعى على ابنى وقلبى يقول بعيد الشرّ» (نفس المصدر: ٩٠)، تقول هذا الكلام الأمّ التى يضايقها ابنها وهى تدعو عليه ولكنّ لحنان قلب الأمّ فإنّها تكره من يساعدها فى الدعاء. المثل الآخر: «جوز البنية أغلى من نور عينى» (نفس المصدر: ٢٣٦) تقوله الحماة امتداحا لزوج ابنتها الذى يسعد ابنتها، لذلک هو عزيز عندها كنور عينها بل أغلى منها.

ب. الميزات اللغوية للنساء فى الأمثال حسب دراسات مؤلّفى هذا المقال

قمنا فى القسم الثانى من البحث بإحصائية ما يتواتر من ميزات لغوية للنساء المصرية حسب دراساتنا التى لم تذكر فى نظرية التسلّط أو كانت متناقضة ومخالفة لما وصفته لاكوف كالميزات اللغوية المختصّة بالنساء. فنأتى بالجدول التالى لبيانات ما عثرنا عليها كخصائص لغوية للنساء المصرية المتجلّية فى أمثال كتاب أحمد شعلان.

الرقم ٢: الميزات اللغوية للنساء فى الأمثال حسب دراسات مؤلّفى هذا المقال

الميزات اللغوية للنساء	الأساليب	عدد التواتر
عدم اتجاه المرأة إلى استخدام كلمات أو أسلوب أكثر تأدّبا	استخدام الشتائم والمفردات المقذعة	٢٨
	النهى	٣
	الأمر	١٢
استخدام اللغة التمثيلية	ضمير المتكلم وحده	١٨
	الكلام الموزون	٧٠

- عدم اتجاه المرأة إلى استخدام كلمات أو أسلوب أكثر تأدّبا

صاحبة نظرية التسلّط "روبين لاكوف" تميل إلى إثبات أنّ المرأة تكثر من أساليب التأدّب والاعتذار؛ لذا تشيع على لسانها عبارات، نحو: إنّه يؤسفنى أن أقول، من غير مؤاخذة، آسفة، أرجو التكرّم بالحديث و... . المرأة تتّجه إلى أن تطلب ما تريد فى أساليب الرجاء والتمنّى وهى تتجنّب عن استخدام أساليب الصراحة والمباشرة فى طلبها. (إبراهيمى وآخرون، ١٣٩٧ش: ١٩٢)

ما يستقطب الانتباه هو أنّنا حصلنا على خلاف ما ذهبت إليه لاكوف أنّ المرأة تتجه إلى استخدام أسلوب أكثر تأدّبا. عدد تواتر بياناتنا وفق الجدول السابق يبين أنّ المفردات التى تدلّ على الشتائم والمفاهيم السيئة تصل إلى ٢٨ واستخدامها أسلوب الأمر يبلغ ١٢ وأسلوب النهى يبلغ ٣. لإثبات ما حصلنا عليه يمكننا أن نتمسّك بالأمثال الآتية. فى المثل: «الوشّ قد البنينة والقدّ قدّ الجنينة» (شعلان، ٢٠٠٣م: ١/ ٥٣٢) تستهزئ المرأة بصاحبة الوجه الصغير والرأس الكبير فنرى كيف هى تستخدم العبارة الصريحة والمباشرة لبيان استهزائها. يبدو أنّ قمة ما نريد اثباته تتجلّى فى مثلين تاليين: «ناس

قحبها فى السوق وناس قحبها فى الصندوق» (نفس المصدر: ٥١٢) و«القحبة بقحبتها والحرّة إيش نصيبها» (نفس المصدر: ٤٥٠) نلاحظ أنّ المرأة لاتستحيى من استخدام مفردة "القحبة" وهى تدخل مباشرة فى بيان آرائها ولايمنعها شىء من الصراحة فى الكلام. وهذا خير دليل على أنّ المرأة قد تلوّن كلامها بكلام الرجل وتستخدم المفردات السيئة فى المفاهيم وأساليب الصراحة والمباشرة فى طلبها كما نراها فى المثل هذا: اتوصّوا بيعضكوا جات الغرب داهية (نفس المصدر: ٨٤)؛ تقوله الأمّ لأولادها أى عليكم أن تساعدوا بعضكم بضعا وأن تقفوا بجانب بعضكم فى الشدّة أمّا الأغراب فلايصلحون أن يساعدوكم فى وقت الشدّة والمحنة. الجدير بالذكر أنّ أكثر أسلوبى الأمر والنهى عند المرأة تدلّ على التوصية والإرشاد فمن الممكن القول إنّ أسلوبى الأمر والنهى يخفّفان من أدبية الكلام ويحملان دلالة الصراحة والمباشرة فى الطلب إن نقارنهما مع أسلوب التمنى والرجاء. المرأة تفضّل أن تعبّر عن طلباتها بأسلوب التمنّى والرجاء كما تقوله "لاكوف" صاحبة نظرية التسلّط بيد أنّ الأمثال المدروسة عندنا تثبت خلاف ذلک؛ بعبارة أخرى المرأة المصرية تبين توصياتها وإرشاداتها بأسلوب الأمر والنهى كأنّها تريد أن تعطى رسالة إلى المخاطب أنّ توصياتها كقوانين الحياة وعليه أن يطبّق ما قالته فى حياته. بين أيدينا أمثال عديدة تبين أنّ المرأة فى مقام التوصية والإرشاد تميل إلى استخدام الأمر والنهى فى كلامها، نحو: «إجرى يا خايبة للغايبة» (نفس المصدر: ٨٥) و«البسى خفّ واقلعى خفّ لمّا يجى خفّ يناسبک» (نفس المصدر: ١١٥) «وماتدّينى ولدى تحت خُلقى.» (نفس المصدر: ٤٥٨)

«**إجرى** يا خايبة للغايبة» (نفس المصدر: ٨٥) تقول ذلک الأم لابنتها عندما تكون لها ضرّة أو سلفة أو حماة حتّى لاتواجه استغلالهنّ حيث تسعى وتكفح بيد أنّ نتيجة سعيها تسجّل لأسماء اللذين يستغلّون الفرص لمنفعتهم. يبدو أنّ استخدام فعل الأمر أو النهى للدلالة على التوصية والتحذير ليس ضمن استخدام النساء فحسب بل يختصّ بالرجال كذلک ولكنّ الشىء الذى يستقطب الانتباه أنّ استخدام النداء بشكل عام فى السلوک اللغوى للمرأة يتناسب تناسبا أكثر مع تعبيرها عن حالة الخيبة والانهزام. المرأة المصرية إمّا تتخذ موقف التوصية والإرشاد وإمّا تتخذ موقف خلق المشاكل

للآخريــن أو تتشــاجر وتتنازع معهم. من المواقف التى تأتى المــرأة بفعل الأمر هى لمّا تكون فى مقام التوصية والإرشــاد. فرأينا أنّ المرأة تســتخدم فعل الأمر لمّا تكون فى مقام تحذير بنتها وتنبيهها حسب ما تعلّمت من تجاربها.

- استخدام اللغة التمثيلية

يذهــب أصحاب الحركة النســوية إلى قول إنّ الرجل يســتعرض نفســه فى كلامه شــخصيّة متنافســة ومتحدّية وهو يعرّف تفوّقه ومواهبه، حيث المرأة تأنف نفســها من التحــدّى والتنافس وذلک لراحة التواصل مع الآخرين وتســتخدم الألفاظ الســهلة. (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٣١ و١٣٤) ما يثير الانتباه أنّنا بدراسة الأمثال حصلنا على نتائج جديدة كما ترون فى الجدول السابق، وهى أنّ المرأة تستعمل اللغة التمثيلية كى تتحدّى وتتنافس مع الآخرين لتخفيف ما تعانى من قلّة الانتباه إليها وهى تريد أن تجعل نفسها أمام أعين مخاطبيها وأن تستقطب انتباههم إليها. بعبارة واضحة؛ هى تبدّل لباس كلامها بلباس كلام الرجل وتمثّل دوره فى تحدّيه وتنافسه.

الــكلام الموزون واســتخدام ضمير المتكلّم وحــده وتكراره هى مــن آليات اللغة التمثيلية التى تتمسّــک بها المرأة المصرية لإثبات نفسها وبيان تنافسها وتحدّيها مع من يهدّد حياتها الزوجية. الأسماء المســجوعة والتكرار من التراكيب الشــكلية الّتى تزين المرأة المصرية لغتها بها وهى تأتى كثيرا ما بكلام موزون بالسجع وتكرار ضمير المتكلّم وحده، نحو: «آدينى الحية لمّا أشوف اللّى جية»؛ آدينى يعنى هذه أنا وتقول ذلک الزوجة لزوجها الذى يضربها ويسىء معاملتها ويهدّدها بالزواج من امرأة ثانية فتردّ عليه بهذا المثل لتشــير إلى أنّه ســوف لايجد مثلها فى النشــاط والأدب وخدمة المنزل. (شعلان، ٢٠٠٣م: ٩٣/١) كما نلاحظ تطابق مفردتى "الحية" و"الجية" فى الوزن والقافية. والمثل الآخر: «أنا وِحشــة وأعجِب نفسى وأشوف الحلويين تقرف نفسى»؛ تقوله ذلک المرأة التى توصف بالسوء ردّا على اتهامات الناس لها. المثل يحمل أسلوب التحدّى والعناد، والمعنــى أنّ كلّ إنســان راضٍ عن نفســه مهما كان عندها من عيــوب. (نفس المصدر: ١٦٦) فنــرى كيف المرأة زينت كلامهــا بتكرار مفردة "نفس" وتكرار ضمير "ياء". المثل

الآخر هـو: «**ده عادتک** واللی هتشـتریها **ده عادتی** ومِتقندلة فیهـا» (نفس المصدر: ٢٨٠)، هذا المثل یعبّر عن حوار الحماة وزوجة الابن التی تتحدّی الحماة وتقول لها أنّ هذه طبیعتی وأخلاقی السـیئة ولیس لدی غیر ذلک. تکرار اسم الإشارة "ده" وتکرار الضمـیر فی مفردتـی "عادتک" و"عادتی" أدّی إلی أن یکون الـکلام موزونا. «الزرع **أخضر** والناس **أخبر**»؛ یقال هذا المثل بین النسـاء عند قیام المشاجرات ومعناه أنّ کلّ النـاس تعرف "أنـا مین وأنت مین" وتقول ذلک المرأة للافتخـار بالأصل وفی التحدّی مع النساء الأخری. (نفس المصدر: ٢٩٧) مفردتا "أخضر" و"أخبر" متطابقان فی الوزن والقافیـة. والمثل: «**مخدّة بطبیب** ولا **الربیـب**» (نفس المصدر: ٤٧٧)؛ تقوله زوجة الأب لمّـا تکـره أبناء زوجها لأنّها فی التنافس معهم فی اکتسـاب محبّة الزوج وهی ترید أن تنفرد به لنفسها فحسب. کما نشاهد أنّ هناک التطابق بین مفردتی "الطبیب" و"الربیب" فی الوزن والقافیة.

أمّـا هناک أمثلـة أخری فتدلّ علی أنّ المرأة فی مقام التحدّی تلجأ إلی اسـتخدام التراکیب الشـکلیة بالأخصّ السـجع والتکرار فی کلامها، نحو: «طول عمرک یا **خالة** و**إنت** علی دی **الحالة**» (نفس المصدر: ٣٤٦) و«طول عمرک یا **ردة** و**إنت** کده» (نفس المصدر: ٣٤٧) یعبّران عن التنافس بین الحماة وزوجة الابن. فنری تزین الکلام بالسجع المـوزون وتکرار ضمیر "إنت". وفی المثل: «دی **عَوجـة القَرطة** وإیدها **فِرطة**»؛ المراد من "القرطة" مندیل الرأس و"عَوجة القَرطة" تعنی سـوء سـلوک البنت لعدم احتشامها لانّ الفتاة التی یمیل مندیل رأسها تبعث علی النفور وتثیر الغرائز. (نفس المصدر: ٢٨٢) هنـاک التطابق بین مفردات "عوجـة" و"القرطة" و"فرطة" فی الـوزن والقافیة. «اللی بیجیب **سـیرتی** یحتار **حیرتی**» (نفس المصدر: ١٢٢): هذا المثل تقوله المرأة المصریة لمّا تقع فی مشـکلة وتری الناس یوجّهون إلیها الشتائم. من ثمّ تلجأ إلی استخدام الدعاء علیهـم فـی کلامها بأن یصابوا بما أصیبت به من همّ وحیرة حتی تتنافس معهم بنوع ما وتخفّف من ألم الشماتة التی تشعر بها. کما نلاحظ تحلّی کلام المرأة بتکرار ضمیر المتکلّم للوحده واتفاق مفردتی "سیرتی" و"حیرتی" فی الوزن والقافیة.

ما یستقطب انتباه المخاطب فی الأمثال مسبوقة الذکر أنّ لغة المرأة فی حالة التنافس

والتحدّى تتحلّى بمجوهرات تكرار ضمير المتكلّم وحده والأسماء المسجوعة وهى نوع من أنواع التراكيب الشكلية واللغة التمثيلية. المرأة فى مقام التنافس تحتاج إلى أن ترى شيئا من أنانيتها للمخاطب وتثير إعجابه وأن تكون فى محور التفات الآخرين؛ من ثمّ استعمال الضمائر بالأخصّ ضمير "أنا" وتكرارها ثمّ تزيين الكلام بالمسجوعات هى خير سلاح يمكّن المرأة من الدفاع عن نفسها بكلامها.

تبعية المرأة للرجل لاتنحصر فى الاقتصاد أو الآراء بل تتعدّى إلى تعلّقها به عاطفيا. المرأة المصرية شخصية متنافسة ومتحدّية كما تبينها أمثال الكتاب. شدّة الاهتمام بالحياة الزوجية واكتساب موافقة الزوج صنعت من المرأة المصرية شخصية لابدّ أن تتنافس وتتسابق مع حماتها أو ضرتها أو سلفتها لتخلق حياة مريحة ومقنعة ومتمّة وممتعة لزوجها. الهدف والغاية من الحياة الزوجية هى اكتساب محبة الرجل وإقناعه لذلك أصبحت الحياة الزوجية كحلبة الصراع للمرأة حتى تنازع وتصارع مع من تخطّط أو تتحايل أن يخلق المشاكل لها أو يغتصب ويسلب قلب الرجل منها. الشخصية المتنافسة تجعل المرأة أن تتسلّح بالسلوك اللغوى الخاصّ لكى تراقب نفسها وحياتها من منافسيها. يبدو أنّ تواجد اللغة التمثيلية كضمير المتكلّم وحده والكلام الموزون فى كلام المرأة المصرية هى أقوى سلاح لغوى تستخدمه فى التحدّى مع منافسيها.

ج. الميزات السلبية والإيجابية للمرأة المصرية حسب مفاهيم الأمثال

بيانات القسم الثالث تختصّ بالميزات الإيجابية والسلبية للمرأة من خلال أقوال أصحاب المجتمع أو المفاهيم اللغوية التى استخدمتها المرأة نفسها فى لغتها. الجدول التالى يبين عدد تواتر كل ميزة سلبية أو إيجابية للمرأة حسب مفاهيم الأمثال.

الرقم ٣: عدد تواتر الميزات السلبية والإيجابية للمرأة المستخرجة من مفاهيم الأمثال

الميزات السلبية			الميزات الإيجابية		
العدد	الميزة	التواتر	العدد	الميزة	التواتر
١	الشكاية	٢٨	١	الاهتمام بالحياة الزوجية	٤٠
٢	التنافس والتحدّى	١٩	٢	الاهتمام بالجمال	٢٣
٣	النزاع والتشاجر	١٩	٣	العطوفة والمودة	١٤
٤	الإطاعة والتبعية للآخرين	١٢	٤	الولادة والإنجاب	١٠
٥	الفشل	١٢	٥	الاهتمام بتربية البنات	٩
٦	الخلاعة والفجور	١٠	٦	التوصية والإرشاد	٦
٧	التظاهر والغموض	٨	٧	البناء وتنظيم الأسرة	٤
٨	العنوسة	٨	٨	الأصالة	٤
٩	الاتجاه نحو التقدير والخرافة	٨	٩	الشرافة والعفّة	٢
١٠	الضعف	٧	١٠	البلوغ الفكرى	٢
١١	ضعف الفكر والرأى	٤	١١	الثقة بالنفس	٢
١٢	البخل	٤	١٢	حلّ المشاكل	١
١٣	الفضولية	٢	١٣	النجاح	١
١٤	خلق المشاكل	٢	١٤	البركة	١
١٥	إساءة الظنّ	٢	١٥	الاقتصاد	١
١٦	عدم الثقة بالنفس	٢	١٦	التجربة والمعرفة	١
١٧	الثرثرة	٢			
١٨	الإسراف	١			
١٩	الغرور والتكبر	١			

ما يقوله أصحاب المجتمع عن المرأة بشكل عامّ وكلام المرأة فى التعبير عن ذاتها وصفاتها بشكل خاصّ قد يبينان كيفية الهوية الثقافية والاجتماعية للمرأة فى المجتمع. يذهب "أورزولا شوى" إلى إثبات أنّ أكثر خصائص المرأة نحو: الميزات السلبية والميزات الإيجابية سببها اجتماعى. فالمرء لايأتى إلى العالم امرأة بل العامل الاجتماعى والثقافى له دور بارز وعظيم فى خلق صفات المرأة والفروق بين الجنسين. (شوى، ١٩٩٥م: ١٤)

فى كثير من اللغات نحو اللغة الفارسية، تظهر الأمثال المختصّة بالنساء أنّ المرأة مظهر من مظاهر الجهل والعجز والتفشّى والفضولية و... . بعبارة أخرى تشكّلت ثقافة اللغة الفارسية بحيث تنتج النظرة السلبية إلى المرأة. (موسوى ديزكوهى، ١٣٧٤ش: ٣٤) لو نظرنا نظرة واثقة وواعية إلى الجدول المشار إليه سابقا لرأينا أنّ المرأة المصرية حسب ما جاء فى كتاب "أحمد شعلان" تسير بين شخصية القداسة والدناسة ولكنّ المثير للانتباه أنّ الميزة السلبية المنتسبة إلى المرأة المصرية أكثر تواترا من الميزة الإيجابية.

تبعية المرأة للرجل اقتصاديا وفكريا أو استقلاليتها قد تعتبر مؤشّرا لتقييم كيفية الهوّية الثقافية والاجتماعية للمرأة فى المجتمع. (رضوانى، ١٣٩٩ش: ٧٩٦) تبعية المرأة للرجل كانت ظاهرة عالمية فى الماضى بيد أنّها زالت أو خفّت فى المجتمعات الحديثة إثر ما حدث من المساواة بين الرجل والمرأة فى الكّفة الاقتصادية. نظرا لما حدث من تغير اجتماعى فى مجتمع مصر بصفة عامّة والمجتمع الريفى بصفة خاصّة وخروج المرأة من البيت للتعليم والعمل خارج المنزل والاشتغال فى البلاد العربية النفطية وانتشار وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعى فمن المتوقّع أن تنخفض نسبة تبعية المرأة للرجل اقتصاديا وفكريا.

حسب ما سجّله كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" ل"إبراهيم أحمد شعلان" فمن الممكن الادّعاء أنّ هوية المرأة المصرية كانت هوية تابعة فى الاقتصاد من الرجل. تعترف المرأة نفسها بعجزها ولزوم الرجل فى حياتها واعتمادها عليه ودعمه وحمايته عنها. الأمثال تعبّر عن شدّة اهتمام المجتمع المصرى بالرجل حيث يدفع المرأة إلى التعلّق بالرجل والسعى للحصول عليه والحرص على البقاء بجانبها.

النتيجة

بعد دراسة أمثال كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" لأحمد شعلان، بوصفها أمثالا منقولة من لغة المرأة أو قالتها النساء من مختلف ثقافات مصر، توصلنا إلى النتائج التالية: لما تكون المرأة فى مقام التوصية والإرشاد أو الحسرة

والاعتراف بالفشل والخيبة أو مقام الدعاء أو التمنى أو إقناع الآخرين أو بيان العجز تميل كثيرا ما إلى استخدام الأساليب الإنشائية فى سلوكها اللغوى. وفى حالة التعبير عن آرائها والتشاجر والنزاع تتجه إلى اختيار أسلوب الجملة الاسمية والخبرية وفى موقف التنافس والتحدّى مع الآخرين تتسلّح بتكرار الضمير واستخدام التراكيب الشكلية فى كلامها. الجدير بالذكر أنّ هذه النتائج لاتعمّم على جميع الأمثال.

حسب تطبيق مؤشّرات نظرية التسلّط على الأمثال نستطيع القول إنّ اتجاه المرأة إلى استخدام أسلوب أقل حزما والتجنّب عن الصراحة فى الكلام ميزة لغوية يفوق عدد تواترها عدد الميزات اللغوية الأخرى. مهما يكن من أمر فإنّنا حصلنا على نتائج تخالف ما حصلت عليها "لاكوف" صاحبة نظرية التسلّط وهى أنّ اتجاه المرأة إلى استخدام مفردات تدلّ على تمييز الألوان تمييزا دقيقا، لاتلاحظ فى الأمثال ومن جانب آخر أنّ المرأة تستخدم مفردات تدلّ على مفاهيم بشعة وسيئة فهى تتناقض مع ما أثبتته "لاكوف" أنّ المرأة تميل إلى استخدام أسلوب أكثر تأدّبا فى كلامها مقارنة مع الرجل. استخدام المرأة اللغة التمثيلية كأنّها شخصية متنافسة ومكافحة للحفاظ على حياتها الزوجية، هى من إحدى نتائج مهمّة لهذا البحث التى لم تذكر فى نظرية التسلّط فمن الممكن الادّعاء أنّها تجعل ضمن حصيلة هذا البحث.

مؤدّى كلّ ذلک هو أنّ مسألة التسلّط أمر نسبى يختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر. ومن جانب آخر يبدو أنّ الكفّة الاجتماعية تساوت بين الرجل والمرأة فى المجتمعات الحديثة فإمّا زالت الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة نتيجةً لزوال تمايزات المكانة الاجتماعية بينهما وإمّا يسير المجتمع إلى مرحلة الاشتراكات اللغوية وإمّا يكون فى الخطوات الأولى من التغيرات اللغوية.

المصادر والمراجع

العربية

ابن جنّى، أبو الفتح. (١٩٧٩م). اللمع فى العربية. التحقيق: حسين محمّد أحمد شرف. بيروت: عالم الكتب.

الباقلانى، محمّد بن الطيب. (١٩٥٤م). إعجاز القرآن. تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف.

البرهومة، عيسى. (٢٠٠٢م). اللغة والجنس؛ حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة. عمّان: دار الشروق.
خرما، نايف. (١٩٧٨م). أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. الكويت: علم المعرفة.
الرويلي، ميجان والبازغي، سعد. (٢٠٠٢م). دليل الناقد الأدبي. ط٣. المغرب: دار البيضاء.
سوالمية، نورية. (٢٠١٨م). «دور الأمثال الشعبية في التنشئة الاجتماعية». مجلّة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية. المجلّد ٩. صص ٣٠١-٢٨٠
شعلان، إبراهيم أحمد. (٢٠٠٣م)، موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة. ج١. القاهرة: دار الآفاق العربية.
شـوى، أورزولا. (١٩٨٢م). أصل الفروق بين الجنسـين، الطبعة الأولى. القاهرة: دار الآفاق العربية.
الجنسين. الترجمة: بوعلي ياسين. ط١. بيروت: دار التنوير.
عمر، أحمد مختار. (١٩٩٧م). اللغة واختلاف الجنسين. القاهرة: عالم الكتب.
فوكو، ميشيل. (١٩٨٤م). نظام الخطاب، الترجمة: محمّد سبيلا. ط١. بيروت: دار التنوير.
لطفي، مصطفى. (١٩٧٦م). اللغة في إطارها الاجتماعي. ط١. بيروت: معهد الإنماء العربي.
هنّان، إيمان. (٢٠٢٠م). «السـلوك اللغوي واختلاف الجنسين في ضوء اللسانيات الاجتماعية». مجلّة الآداب واللغات. المجلّد ٦. العدد ١٢. صص ٢٥٠-٢٣٨

الفارسية

آذری، پروا. (۲۰۱۷م). «مشـخصه های زبان و روایت زنانه در داسـتانهای نویسندگان زن». مجله کتاب ماه ادبیات. شماره ٦٦. صص۳۸-۲۹
ابراهیمی، ژینو وصابری، کورش و مرادخانی، شـهاب. (۱۳۹۷ش). «بررسی ویژگیهای زبانی زنان با توجه به متغیر سن بر اساس رویکرد لیکاف». مجله جستارهای زبانی. ش٦. صص۲۱۲-۱۸۷
آذری، پروا. (۲۰۱۷م). «مشـخصه های زبان و روایت زنانه در داسـتانهای نویسندگان زن». مجله کتاب ماه ادبیات. شماره ٦٦. صص۳۸-۲۹
ابراهیمی، ژینو و صابری، کورش و مرادخانی، شـهاب. (۱۳۹۷ش). «بررسی ویژگیهای زبانی زنان با توجه به متغیر سن بر اساس رویکرد لیکاف». مجله جستارهای زبانی. ش٦. صص۲۱۲-۱۸۷
رضوانـی، وجیهه. (۱۳۹۹ش). «بازتـاب فرهنگی هویت زنانه در ضرب المثلهای زبان فارسـی و روسی». مجله پژوهشهای زبان شناختی در زبانهای خارجه. دوره ۱۰. شماره ٤. صص۷۹۹-۷۸۸
فیاض، إبراهیم و رهبری، زهره. (۱۳۸۵ش). «صدای زنانه در ادبیات معاصر ایران». پژوهش زنان. دوره ٤. شماره ٤. صص۵۰-۲۳
موسـوی دیزکوهی، هاشـم. (۱۳۷٤ش). طنز در گیلان. پایان نامه کارشناسی ارشد. دانشکده علوم اجتماعی. دانشگاه تهران.

نعمتـــی، آزاده. (۱۳۸۲ش). «تحلیلی بـــر تفاوتهای زبانی زنان و مردان، تحقیقی در جامعه شناســـی زبان». مجله دانشکده علوم انسانی دانشگاه سمنان. شماره ۵. صص ۹۲-۷۳

الإنجليزية

Lakoff, R. (1973). "Language and Woman's place" (Vol. 2). Language in Society.
Cameron, Deborah. (1998). The Feminist Critique of Language. London: Macmillan.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی